خواطر تقرع الأجراس

رماد الحروف وطائر الفينيق

| مصطفى سليمان |

نهرالأساطير، دجلةُ بغداد عاصمة الثقافة العالمية قديماً، بكى حبراً أسود وأزرق على جريمة المغول حين أغرقوه حتى الاختناق الحقيقي وليس «الإيهام بالغرق» كما جرى في باستيل العصر الحديث «غوانتانامو». أغرقوه بالحروف التي نهشت ضياءَ العيون، عندما سهر المؤلفون المبدعون، والورّاقون الصابرون، في تحبير الفكر على بياض القرطاس، من مفكرين وأدباء وفلاسفة بحثوا عن الحق والخير والجمال، وشعراء سهروا الليالي الخرساء يطرزون عتمتها بقوس قزح لإشباع جوع الخيال البشري إلى المتعة الجمالية التي لا تعدلها متعة من متع الدنيا مهما غلت أثمانها. هكذا هم مجانين الحروف، الفقراء الأغنياء!

من بين عويل القنابل، وحرائق الغابات، التي كانت خضرتها تمجّد الله على سر الجمال، تأتيني أخبار سوداء باحتراق مكتبتي التي جمعتها حرفاً حرفاً، وورقة ورقةً بمئات الكتب، مع البيت الذي «كان» يزهو بها فوق التلال!

أتخيل الأوراق مبعثرة هنا وهناك، باكية بين الحجارة التي «كانت» بيتاً جميلاً. أتخيل الحروف وقد نسيتْ أبجديتَها بعد أن تمزّقت أشلاء خرساء، وتناثرت رماداً على أشواك الطريق.

كنت، من عشقي للحروف والورق، قد أوصيت عائلتي جادّاً، وحسبوني هازلاً، أن يكفّنوني بأوراق مكتبتي ويدفنوني بين الحروف، لعلي يوم البعث أُبعث حيا معها. فالحروف لا تموت.

كلما قرأت من هنا وهناك عن شاعر مفتون بالجمال، أو فيلسوف مجنون بالبحث عن الحقيقة الضائعة، أو مفكر تنهش الحيرة عقله، أو روائي يفتن الألبابَ بسحره تذكرتُ مؤلفاتهم التي كانت تستلقي وادعة على رفوف المكتبة وباحت لي بأسرارهم وعايشتها، وعايشتهم بنبض جوارحي حرفاً حرفاً.

كيف تقاوم الأوراق جحيم الحرائق؟ كيف تدافع الحروف عن أبجديتها أمام أُمّية الرصاص؟ كيف يقاوم الكتاب أسنّة الحراب؟ كيف يتوسل إلى جزمة المدجّج بالسلاح، والموت، والجهل، ليبقيه حيا؟

فرويد! لقد أبدعتَ في كتابك «تفسير الأحلام»، واتّكأْتَ في بعضها على ابن سيرين لتكشف غور ذلك الكهف المظلم المحيِّر: الحلم. فسِّرْ لي أحلامي! بل كوابيسي. بل هذياني: أرى رماد أوراقي وحروفي، في الغابة المحترقة، يتشكّل جمجمةً بين أحجار الخرائب وقد نبتَتْ في محجريها أغصان زيتون خضراء! أسمعُ الجمجمة تصرخ من تحت الرماد: أيتها الحرائق النيرونية! الأوراق لا تحترق. الحروف لا تموت.

فرويد! فسّرْ لي أحلامي. كوابيسي. هذياني:

أسطورة طائر الفينيق تعرفها، وتعرف أنه يُبعَث طائراً حياً من رماده الميت. أراه في حلمي يُبعث مجلّداً أبيض، مجنّحاً بالحروف السوداء الساطعة الضياء. فسِّرْ لي ذلك!

نعم، الحروف أوراقها طيورٌ لا تحترق. ألم يحرقوا حروف ابن حزم الأندلسي فقال:

فإنْ تحرقوا القرطاسَ لن تحرقوا الذي/ تَضَمّنَه القرطاسُ بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلّتْ ركائبي/ وينزلُ إن أنزلْ ويُدفَن في قبري

أيتها الرفوف الرمادية! مَن أخاطب فيك؟ منارات الإغريق التراجيدية؟ مجرات التراث العربي والإسلامي والعالمي؟ فضاءات الحضارات الإنسانية عبر العصور؟

ترى أية كومة من الرماد هي أرسطو في «سياسياته وأخلاقياته وفن شعره وتأملاته في الطبيعة وما وراءها»؟ أي فحمة هي سقراط في محاوراته؟ أي حفنة من الرماد المبعثر هي جمهورية أفلاطون الفاضلة؟ ترى تنتصر إسبرطة على أثينا؟

ترى تكون تلك الأوراق المتفحمة دواوين الشعر؟ يبدو ذلك من توهُّج الخيال في ثنايا الرماد! أين هو ديوان ديك الجن الحمصي الذي شرب رماد حبيبته المحروقة كأس خمر؟ أين هو جنون المتنبي في ذاتياته السامقة، وسيفياته الباهرة، وكافورياته الساخرة؟ أين شكوك المعري ورسالة غفرانه في الدار الآخرة؟

عزائي في رثائي: غصن الزيتون النابت غضّاً من الجماجم. الرماد المنبعث طيوراً وحروفاً. أشجار الصنوبر المتفحمة وهي تشرئب نحو الأفق المختنق بالدخان، باسقةً الخضرة. الأشواك المزهرة والأحجار المبعثرة وهي تتلاحم... أبراجاً شاهقة.

* كاتب سوري

حوار

نشر ديوانه الأخير... إلكترونياً

وديع سعادة: درّبت نفسي لأقابل الموت كصديق

وديع سعاد

| بيروت- من جنى فواز الحسن |

يتوغّل وديع سعادة إلى داخل القصيدة كي يحرّك بها القارئ، فيشعر بأن الشاعر على تماس مع مزاجه وتناقضاته، تلك التناقضات البشرية التي لا ينجو منها أحد.

ليس هذا السبب الوحيد الذي يجعل سعادة قريباً من الناس، بل لأنّه بقي محافظاً على ذاك النسيج الإنساني المرهف، والمتواضع. ربما بسبب تواضعه واعتراضه على طريقة تعامل دور النشر مع الكتّاب، لم يحصل على «الاحتفالات» التي حصدها شعراء آخرون أقلّ جدارة. وربّما التساؤل الأول الذي يخطر على بال القارئ لديوانه الأخير الذي اختار ان ينشره الكترونياً، هو ألم يكن أجدر بدور النشر أن تحافظ على دواوينه، وقيمتها الأدبية، كي لا يصل الحال إلى هذا الحد من الجفاء في قلبه؟

ربما لا يحتاج الشاعر أو الكاتب إلى كيل من المهنّئين، ولكنّ الشعر صرخةٌ، وهذه الصرخة تحتاج الى أن تصل إلى أبعد الأقاصي، وأن تبقى موجودة في ديوان يحفظ صوتها ودويّها. وربّما تكون إجابات سعادة المقتضبة خير دليل على شخصيته غير «الاستعراضية»، وعدم رغبته بالثرثرة، ليترك للقصيدة حق التعبير عنه.

تفيض من قصيدته الأسئلة، أو حتى تلك العبارات التي تحرّض على الأسئلة، مثلاً في قوله «إنه هناك، في الدخان الذي يراه في البعيد. ولا شكَّ معه أيضاً ناسٌ هناك. فالناس ليسوا هنا وهو ليس هنا. فأين يكون وأين يكونون إنْ لم يكن هناك؟ ولكنْ، أين الهناك؟»، و«إنْ أردتَ رفيقاً، فأيُّ رفيق أعزُّ من وحدتك؟». كما يدخل في متاهة الوجود والذات والبحث عنها في قوله، «ابحثْ في التراب حبَّةً حبَّة، قد تجد نفسك، أو على الأقلّ قطعةً منك. قد تجد قطعة من أجدادك، ومن أحفادك الذين لم يولدوا بعد»... وديع سعادة، شاعر المنفى والهجرة والأسئلة، كان لنا معه الحوار الآتي:

• ديوانك الأخير «قل للعابر أن يعود، نسي هنا ظلّه» يعكس إحساساً من التيه والتشرّد، كيف تناجي الذاتُ الخارجة من نفسها ذاتها الأخرى؟

- **كما يناجي العابر ظلَّه المنسي في مكانٍ عبره. فالظل ذاتٌ منسيَّة. ذاتٌ عُبرت ويحاول صاحبها أن يعود إليها، أن يجدها من جديد... ولكن في النهاية لا عودة، بل هو التيه.**

• في أحد أبياتك تقول «لا ترمِ شيئاً، قد يكون ما ترميه قلبك»، ألا تشكّل بعض الأشياء عبئاً علينا مع الوقت، فيتوجب علينا رميها؟

- **ليس هكذا ببساطة يمكن إحالة هذا المقطع الشعري إلى هذا المعنى. لا شك في أن ما يشكل عبئاً علينا يتوجب رميه إن استطعنا ذلك. لكن كل شيء في النهاية هو عبء، فهل يمكن رمي كل الأشياء؟ قد يعني مقطعي الشعري هذا عدم رمي أي شيء بل احتضان كل الأشياء بمحبةٍ تحمل معنى الإنسانية الحقيقية. فإن رمينا أي شيء، قد نكون نرمي معه قلبنا أيضاً. وأعتقد أننا لسنا ذاتنا فقط بل نحن كل هذه الأشياء أيضاً.**

• وماذا يبقى حين نفقد الأشياء؟ الذكريات أم الفراغ؟

- **بالتأكيد لا يبقى إلا الفراغ. والذكريات شيء من الفراغ أيضاً.**

• الشاعر لا يسكن في وطن، بل في الوهم. ما هو الوهم الذي تتحدث عنه؟

- **الشاعر يسكن في الشعر، الذي هو وطن وهميّ. الشاعر يسكن في وهم وطن يخترعه وهو ليس موجوداً ولن يوجد. لكن هذا الوطن الوهمي جميل، بل هو الجميل الأوحد. ولاستحالة وجوده، يخلق الشعراء وهمهم ويسكنون فيه.**

• تكتب عن ذاتك، حتى يبدو إلى القارئ أنّك تكتب عنه، عن لوعته هو، عن خيبته هو، إلى أي حدّ نحن البشر متشابهون؟

- **نحن متشابهون في كل شيء تقريباً، وحين أكتب عن ذاتي أكون أكتب عن كل الذين يشبهونني وهم كثر. البشر متشابهون، والاعتقاد عكس ذلك هو سبب كل الفتن.**

• تبدو الحياة في كتاباتك واثقة من الموت، أين هاجس الموت في حياة وديع سعادة؟

- **الموت صديق حميم، هذا ما درَّبت عليه نفسي لسنوات كي أقابل الموت بلا خوف بل كصديق.**

• هاجرتَ العام 1988 من جحيم الحرب إلى استراليا، هل كانت هجرة مكان فحسب، أم هجرة داخلية أيضاً؟ وبين الوطن و«المنفى»، إلى ماذا يشتاق وديع سعادة اليوم؟

- **الهجرة الداخلية قد تكون وأنت في وطنك، فهي لا تحتاج إلى هجرة جغرافية كي تكون. أما هجرتي فكانت الهجرتين معاً، الهجرة الجغرافية والهجرة الداخلية. وأنا اليوم لا أشتاق إلى وطن ولا إلى منفى. فالوطن في قلبي، والمنفى أيضاً.**

• قرّرتَ ان تلجأ إلى النشر الالكتروني كاحتجاج على الواقع الحالي لدور النشر، كيف تقيّم هذه التجربة؟ وكيف تقيّم المشهد العربي الشعري عامّةً؟

- **لجأت إلى النشر الإلكتروني كموقف مبدئي من دور النشر العربية التي تهضم حقوق الشاعر. وأرى أن النشر الإلكتروني أكثر انتشاراً ويصل إلى القارئ أينما كان ومجاناً. أما المشهد الشعري العربي فلا يمكنني إبداء رأي فيه لأن بعدي الجغرافي يحول بيني وبين متابعته، وما أقرأه مما ينشر في الصحف لا يكفي لإبداء أي رأي.**

• ذاكرتك المثقوبة تنزف بآلامنا جميعاً، هل من أمل؟

- **أتمنى... لكنني أعتقد أن تاريخ الناس يمكن اختصاره بكلمة واحدة: آلامهم.**

«خزانة شهرزاد» في جديد «عود الند»

صدر العدد الجديد، من مجلة «عود الند» الثقافية الشهرية (oudnad.net)، التي يرأس تحريرها الدكتور عدلي الهواري. كلمة العدد كانت بعنوان «عندما تكون الحقيقة بين الضحايا» جاء فيها:

«من المؤسف أن نشر الأكاذيب صار ممكنا أكثر بعد تعدد القنوات التلفزيونية، ووجود وسائل أخرى مثل يوتيوب وفيسبوك، حيث تنشر في الأول فيديوهات مفبركة، وفي الثاني الأكاذيب بالكلمة أو الصورة، ولم يعد الإنسان قادرا على معرفة من قال هذا القول حقا، وهل صورة الضحية الفلانية صورة حقيقة، أم انتزعت من سياق مختلف، زمانا ومكانا، لكسب التأييد لهذه القضية أو تلك.

يضم العدد مقدمة كتاب جديد للباحثة الدكتورة سعاد مسكين بعنوان «خزانة شهرزاد»، وبحثا عن مفهوم التبئير في النقد الأدبي للباحث السعيد بولعسل، وبحثا لفراس حج محمد يتناول فيه معاناة المعلم كما عبر عنها الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة قديمة شهيرة، ويدعو إلى تبني استراتيجية للنهوض بالتعليم. وهناك مقالة لإبراهيم يوسف يتحدث فيها عن نثر الشاعر نزار قباني، ويستشهد بمقتطفات من بعض قصائده ليظهر أن نزار قباني لم يكن يحترم المرأة حقا.

وفي العدد قراءة من عبد الهادي شلا لرواية لنجلاء محرم، وقراءة من مادونا عسكر لقصيدة للشاعر فراس حج محمد، وعرض من دينا فيضي لكتاب «تصرفي كامرأة وفكري كرجل»، وهو كتاب صدر بالإنكليزية ومؤلفه هو ستيف هارفي.

وثمة مجموعة من النصوص المنوعة لكل من د. كريمة الإبراهيمي، ومهند النابلسي، وهدى الدهان، ومحسن الغالبي، ورباب كساب، ومحمد التميمي، وغانية الوناس، ورحاب مليباري. لوحة الغلاف نحت للفنان التشكيلي المصري علي الصهبي، مع نماذج من أعماله داخل العدد.

عنوان موقع المجلة: www.oudnad.net.

غلاف المجلة

شعر

زَوْرَقُ فِصَامٍ يَحْمِلُ الْحَقَّ

| محمود عثمان |

سَلامٌ حِينَ يَنْجَرِحُ السَّلامُ
وَيَطْعَنُ فِي الضِّيا النُّوْرَ الظَّلامُ
وَغَيْثٌ حِينَ يُفْتَقَدُ الْغَمَامُ
وَسَيْفٌ حِينَ يَنْتَشِرُ الطَّغَام
عَلَى الدُّنْيَا السَّلامُ إِذَا تَجَنَّى
«مُرِيْسٌ» ذَلِكَ الرَّجُلُ الْحَرَام
عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ فِي وِقَاحٍ
وَمَا وَاللهِ يَعْرُوْهُ اتهَام
كَفَى مِنْ نُكْبَةِ الأَيَّامِ أَنَّا
نَرَى الأَسَادَ يَقْذِفُهَا النَّعَام
يَسِبُّ «مُحَمَّدًا» حِقْدًا وَجَهْلاً
سُبَابًا يَشْمَئِزُّ لَهُ الْكِرَام
لَعِرْضِي دُوْنَ عِرْضِكَ يَا حَبِيبِي
إِذَا طَعَنَتْ بِعِرْضِكَ ذِي اللِّئَام
أَمَا قَالُوْا بِأَنَّكَ زَيْفُ قَوْلٍ
وَأَنْتَ يَا «مُحَمَّدُ» لا تُرَام
وَأَنَّ «بَحِيرَةَ» وَضَعَ الْمَعَانِي
لَدَى الْقُرْآنِ يُرْكِبُهُ انتظام
غَبِيٌّ يَا «مُرِيْسُ» الْيَوْمَ قَلْتَ
بِأَنَّ مُحَمَّدًا حَقٌّ مُقَام
سُبَابُكَ حَقَّقَ الْيَوْمَ اعْتِرَافًا
أَيَرْقُدُ فِيكَ جَهْلٌ أَمْ فِصَام؟
أَفِيكَ جُنُوْنُ عَقْلٍ أَمْ خَبَالُ
أَفِيكَ الْحِقْدُ أَمْ فِيكَ السَّقَام
تَقُوْلُ الْحَقَّ فِي كَذِبٍ قَبِيحٍ
فَلَيْتَ يَجِلُّ عَنْ قَوْلٍ صِيَام
أَرَدْتَ بِـ«فِلْمِكَ» الأَفَّاكِ نَوْلاً
فَنَالَكَ مِنْهُ حَقٌّ وَانْهِزَام
إِذَا نَامَتْ عُيُوْنُكَ عَنْ ضِيَاءٍ
فَعَيْنُ اللهِ قَطْعًا لا تَنَام
لإِنْ لَمْ يُبْعَثِ الْهَادِي- زَعَمْتُمْ-
لِمَ التَّجْرِيحُ هَذَا وَالصِّدَام
دِمَاءُكَ مِنْ فُيُوْضِ النِّيلِ تَجْرِي
لِمَاذَا ذَا الْعَدَاءُ لَهُ الزُّؤَام
أَلَمْ تَشْرَبْ مِنَ النِّيلِ الْمَعَانِي
وَبَجْرِي فِيكَ مِنْهُ هَوًى طعام
أَلَمْ تَأْخُذْ مِنَ الْحَارَاتِ خِلاً
أَلَمْ يَأْخُذْكَ وُدٌّ أَوْ غَرَام
بِعَوْنِ اللهِ إِنْ شِئْنَا بَطَشْنَا
وَلَكِنَّا يُؤَدِّبُنَا الْتِزَام
«أَلا لا يَعْلَمِ الأَقْوَامُ أَنَّا
تَضَعْضَعْنَا» وَأَنَّا قد نُضَام
لَنَا فِي سَاحَةِ الإِقْدَامِ طَوْلاً
إِذَا رَاحَتْ تُصَبِّحُنَا الْحِمَامُ
يَمِينَ اللهِ أَوْصَى نُوْرُ قَلْبِي
«مُحَمَّدُ» ذَلِكَ الْبَدْرُ التَّمَام
بِأَنْ خَيْرًا بِمِصْرَ إِذَا فَتَحْتُمْ
وَلِلْقِبْطِ الْمَوَدَّةُ وَالسَّلام
جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ إِلَى لَئِيمٍ
كَجُرْحٍ لا يُجَاوِرُهُ الْتِئَامُ
نُصَافِحُ أَيْدِيَ الأَعْدَاءِ دَهْرًا
وَلِلأَحْبَابِ بُغْضٌ وَاخْتِصَام
هُمُ الأَشْرَارُ إِنْ شِئْتَ الْوَصَايَا
تُقَلِّبُهُمْ لَدَى الدُّنْيَا الأَنَام
«مُحَمَّدُ» لا يُضِيرُكَ مِنْ سُبَابٍ
تَنَاقَلَهُ الأَرَاذِلُ وَالْهَوَام
لأَنْتَ الْمَاءُ فِي صَهْدِ الصَّحَارَى
لأَنْتَ النُّوْرُ إِنْ عَمَّ الظَّلام
لأَنْتَ الْوُدُّ فِي كَيْدِ الأَعَادِي
لأَنْتَ الصَّفْحُ إِنْ حَلَّ انْتِقَام
لأَنْتَ الطَّوْدُ فِي الشَّأْوِ الْمُعَلَّى
لأَنْتَ الأُنْسُ إِنْ شَدَّ الزِّحَام
لأَنْتَ الأَمْنُ فِي يَوْمٍ مُخِيفٍ
لأَنْتَ الشَّافِعُ الْمُنْجِي الْهُمَام
لأَنْتَ نَجَاتُنَا إِن حَلَّ حَشْرٌ
لأَنْتَ بِجَدِّبِ أَنْفَسْنَا الْغَمام
لأَنْتَ سَرِيَّةُ الإِحْسَانِ فِينَا
لأَنْتَ الْجَيْشُ فِي الْحَرْبِ الُّهَام
لأَنْتَ الْبَذْلُ مِنْ غَيْرِ امْتِنَانٍ
لأَنْتَ بِمَنْزِلِ الْحَقِّ الْحُسَام
«وأَجْمَلَ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ «عَيْنٌ»
وَأَكْرَمَ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ «الْعِظَام»
لَكَم وجمت بوجهك عاتياتٌ
وفيك- بقوة الله- ابتسامُ
طَلَعْتَ مِنَ الثَّنَايَا فَاسْتَقَامَتْ
لَكَ الأَيَّامُ فِيهَا وَالأَنَامُ
إِذَا قَالُوْا: الْمُخَلِّصُ أَنْتَ فِيهِمْ
كَمَا الأَقْوَاسُ تَغْلُوهَا السِّهَام
قَضَيْتَ سَنِيَّ عُمْرِكَ فِي صَلاحٍ
لِنَغْمُرَنَا وَيَرْعَانَا السَّلام
تُبَاعِدُنَا اللَّيَالِي مَا حَيِينَا
وَمِنْ ذِكْرَاكَ يَجْمَعُنَا الْتِحَام
يُبَاعِدُنَا الزَّمَانُ وَأَنْتَ ذِكْرٌ
نُرَدِّدُهُ فَيُرْجِعُهُ الْحَمَام
لَقَدْ صَلَّى الأَوَائِلُ فِي خِتَامٍ
وَنَتْبَعُهُمْ إِذَا حَلَّ الْخِتَام
سَلامُ اللهِ مَا بَقِيَتْ صَلاة
بِمِئْذَنَةٍ لَدَى الدُّنْيَا تُقَام

من وحي الشارع

أمان يا ماما أمان

| ثريا البقصمي |

الشعور بالأمان يصبح مفقوداً عندما ننطلق بسياراتنا ليبتلعنا الشارع، ويزداد الشعور بفقدان الأمان عندما يقوم شاب أرعن «بالتحرش» بالسائقات الحسناوات والنص نص، وحتى فاقدات الحسن.

العديد من السيدات كدن أن يفقدن صوابهن، لأن في السيارة المجاورة من يحرك يديه وحاجبيه وعينيه معبراً عن مشاعره الفياضة، وهو مستعد لأن يركب الرصيف ويعانق عمود النور ليعبر للسائقة المرتبكة بفضل حركاته الصبيانية بأنه معجب حتى الثمالة.

روت لي إحداهن كيف أنها تعرضت لمعاكسات «شوارعية» من قبل مراهق في سن أحفادها، وبعد أن يئست من تجاهله، أطلت برأسها من نافذة السيارة لتقول:

- يا ولدي لا يغرك شعري الأسود المصبوغ، أو المساحيق التي تخفي عمري، فأنا في سن أمك.

وفي الحال أجابها الباحث عن الحب الطائر:

- عز الطلب يا مدام، فأنا يتيم وفي حاجة إلى أم، وينقصني الحنان والأمومة.

... وأمان يا ماما أمان.

كاتبة وفنانة تشكيلية

g_gallery1@hotmail.com

أماكن

الكرة على الطريقة الفرنسية (1)

| جمال الغيطاني |

بمجرد انطلاق صافرة الحكم ايذانا بانتهاء المباراة وفوز الفريق الفرنسي، حتى قامت الدنيا ولم تقعد، وقدر لي أن أشهد أضخم تعبير انساني عن الفرح بالفوز والانتصار هذه الليلة، ومن ناحية أخرى ذروة الهوس الكروي، بحيث يمكن اعتبار أقصى حالات جمهورنا المصري، الذي أعرفه جيدا من خلال التلفزيون، بالغ الهدوء والاستكانة بالقياس الى ما شاهدته وعاينته تلك الليلة في حي سان ميشيل أو الحي اللاتيني كما يُعرف في باريس.

الحي اللاتيني أعتبره المركز الروحي لباريس، ليس بسبب وجود كنيسة نوتردام في قلبه، أعظم كنائس فرنسا وأحد النماذج المعمارية الفريدة في الفن القوطي، انما لوجود الجامعة العريقة السوربون، والكوليج دوفرانس، ودور النشر الكبرى، والمسارح ودور السينما والمكتبات، واذا كانت الثقافة بأنشطتها ومنتجاتها تعد العنصر الرئيس في فرنسا، فيمكن اعتبار هذا الحي العريق بمثابة المركز للحياة الثقافية في فرنسا.

انه منطقة الجامعة والطلبة والشباب والباحثين عن الشهرة والعابرين والسائحين والمتسكعين، وبالنسبة لي أعتبره جمَّالية باريس، أزقته وحواريه وشوارعه الصغيرة تستدعي الى ذهني حواري الجمَّالية ودروبها، ولو أن أزقتنا وحوارينا لقيت ما يلقاه هذا الحي من عناية وصيانة لبدت أكثر جمالا ورونقا، وليس لنا الا أن نأمل، لعل وعسى!

في هذه الليلة اندلعت مشاعر الفرنسيين واتخذت أقصى ما يمكن أن نتصوره عندما تتفجر الفرحة الجماعية، والسبب هذا الجسم المصنوع من المطاط، الكروي، الذي تتبادله أقدام اثنين وعشرين لاعبا في مساحة محددة، وخلفهم يقف عدد لا يمكنني حصره من المدربين والاداريين والصحافيين ورجال الأعمال والمال ومن قبل ومن بعد مشاعر وأزمنة وميراث أحداث شتى، تصبح هذه الكرة رمزا للوطنية، وللاعتزاز بالنفس، وللمغامرة والرهان على المجهول، لماذا الكرة رمز للوطنية، وللاعتزاز بالنفس، وللمغامرة والرهان على المجهول، لماذا كرة القدم بالذات؟ لماذا لم تكن كرة اليد أو كرة السلة أو كرة... لا أدري...

كعادتي كل ليلة قصدت الحي اللاتيني بعد جولة في المكتبات اقتنيت من خلالها كتبا للفن تباع بتخفيض هائل ولي عنها حديث منفصل، لكن موضوع الانفعال الذي رأيته تلك الليلة من أغرب ما عشته خلال زياراتي المتعددة لباريس.

قصدت بصحبة صديق حميم يعيش في فرنسا منذ السبعينات مطعما اسبانيا لنتناول العشاء، لاحظت خلو المطاعم من الزبائن، منظر لم أعتده في الحي هنا، هذه المطاعم التي تقدم مأكولات مختلفة تنتمي الى بلدان شتى لا تخلو أبدا من الزبائن على مدار الساعات الأربع والعشرين، سألت صاحبي الدكتور عاصم عبدالحميد:

- لماذا يبدو الحي خاليا... أين الناس؟

تطلع اليّ بدهشة.

- فرنسا بتلعب.

- تلعب مع من؟

- مع ايطاليا في نهائي كأس أوروبا.

هنا لابد من ايضاح أمر، ذلك أنني مع الشأن الكروي مثل أهل الكهف، الا ما يتعلق بالمباريات القومية التي يكون الفريق المصري طرفا فيها، أو فريق عربي يلعب في نهاية بطولة دولية مع فريق أجنبي، وهذا أمر نادر، في ما عدا ذلك فلا علم لي بأخبار الكرة ولا أفراد الفرق المختلفة، وأحيانا أسأل عن لاعب زملكاوي وأكتشف الدهشة في اجابة محدثي، فمن أسأل عنه أهلاوي، واذا عدت الى السنين الأولى، سأجد نفسي منتحيا ركنا قصيا في المدرسة، أتأمل بدهشة النقاش بين زملائي الزملكاوية وزملائي الأهلاوية، وأعجب، لماذا لا يوجد بيننا من يشجع الفرق الأخرى، ولم أكن أعرف أن هناك مشجعين محليين أشد شراسة، مثل مشجعي نادي بورسعيد الذين يثيرون الشغب عند لعب فريقهم مع الفرق الأخرى، ولكنه شغب لا يصل الى الحد الذي نعرفه من المشجعين الانكليز الذين ينتقلون من بلد الى بلد ليثيروا الفتن ويصل الأمر الى حد سقوط القتلى والجرحى.

أذكر أن جميع المشجعين في مرحلة دراستي الاعدادية كانوا يؤازرون الأهلي، حتى اذا انتقلت الى فصل آخر فوجئت بوجود مشجع للزمالك، وبدا ذلك لي غريبا، فكيف يقف أمام كل هؤلاء الأهلاوية، ولأنه أقلية كنت أتعاطف معه، ذلك أنه كان فردا في مواجهة مجموع، ولكنني لم أصبح قط مشجعا لنادي الزمالك، ذلك أنني كنت مشغولا بمصائر السندباد، والكونت دي مونت كريستو، وكنت أخطط لكي أصبح لصا شريفا مثل آرسين لوبين، آخذ من الأغنياء، وأوزع على الفقراء.

لكن هذا لا يعني أنني كنت أرفض تشجيع نادٍ ما، ربما بتأثير الأفكار الاشتراكية التي اعتنقتها مبكرا أقنعت نفسي أنني نصير لنادي الترسانة.. كان ذلك في أوائل الستينات، ولكنني اكتشفت أنني لا مشجع ولا غيره، لا أمارس ذلك حقا، فمواعيد المباريات أجهلها، وأسماء اللاعبين لا أعرفها، ولا يوجد حتى من يستفزني للدخول في نقاش حول نادي الترسانة.

«غرباء مثل الحسين»... رواية تحكي مآسي الأسرى العراقيين في السجون الإيرانية

| القاهرة- من أغاريد مصطفى |

غلاف الرواية

صدر للروائي والمترجم العراقي عبد الجبار ناصر عن الدار المصرية اللبنانية في القاهرة رواية «غرباء مثل الحسين»، والتي تجري وقائعها في منطقة من فضائها القسوة العابثة والعدم والرجاء الذي يشبه نفاده، بحيث يقضي الراوي أكثر من ثماني سنوات أسير حرب في السجون الإيرانية ما بين عامي 1982 و1990.

وتصور الرواية في قسمها الأول، قيود أسر المواطن في بلده في ظل أنظمة القمع والخوف والتهديد، ثم تنتقل إلى كشف فظاعة الحروب التي يمضي ضحاياها وهم لا يعرفون لِمَ تقاتلوا، وكيف يحاول القادة المهووسون تمجيد أسمائهم باختلاق النزاعات والحروب بدعوى حماية الدين أو الدفاع عن الوطن، وكل طرف يحاول أن يلبس جرائم القتل والدمار قناع الخير ودفع الشر وحماية العرض والمجد القومي. في جبهات القتال، ويحاصر الجندي بين فرق الإعدام الجوالة في الخلف، والعدو المتطلع للهيمنة باسم الإسلام.

وتتعرض في الجزء الأكبر منها لمأساة الأسرى العراقيين في إيران، وتعرض بالتفصيل تجربة الحياة في معسكرات الأسر بجميع أهوالها التي تخرج عن نطاق الوصف، إذ ما يحدث للأسرى من تعذيب وجوع وغربة وموت مجاني يفوق التصور ويُذكّر بكبريات المحن في تاريخ القسوة البشرية، وعندما يبلغ الظلم منتهاه، يثور الأسرى وهم يتذكرون الحسين وغربته ومقتله، فيفتحون صدورهم للرصاص هاتفين: هيهات منا الذلة. وفي ذروة الأحداث يكتشف الأسرى أن هناك، في الجانب الآخر أو العدو الأزلي، من يتعاطف معهم فيدركون أن المشاعر الإنسانية أقوى وأبقى من طبول الحرب والكراهية.